بسم الله الرحمن الرحيم

توطئة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهـــده الله فلا مضل له ، ومن يضلل، فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾

[آل عمران: ١٠٢]

﴿يَاأَيُّهَـــا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِـــنْهُمَا رِجَالا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]

﴿يَاأَيُّهَـــا الَّـــذِينَ آمَـــنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلا سَدِيدًا *يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾

[الأحزاب: ٧٠، ٧١]

أمـــا بعـــد : فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمدﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

وبعد، ففي خضم هذا التطور والتغير الهائل الشامل لجميع مظاهر الحياة، كان لابد لنا مـــن وقفـــة لنتـــساءل: هل يحتاج المسلمون والدعاة أن يعاودوا النظر في مناهج الدعوة وأساليبها في واقعنا المعاصر بحيث تتواكب مع طبيعة هذا العصر ومقتضياته؟

وإذا كـــان الـــتطور والتطويـــر أمرًا لابد منه؛ فما حدود هذا التطوير وما ضوابطه ووسائله...؟

إن هذا البحث يناقش موضوعًا في غاية الأهمية، ألا وهو منهج الدعوة في ضوء الواقع المعاصـــر، وهـــذا يقتضي تأصيل قضية التطور في المنهج والوسائل الدعوية عبر العصور، والوقـــوف علـــى مدى التغير الحادث في واقعنا المعاصر مما يقتضي ضرورة تطوير المنهج الدعوي والوسائل الدعوية بما يناسب حال المدعوين في العصر الحاضر.

التطور سنة الله في خلقه:

ومن المعلوم أن التطور هو سنة الله في خلقه، فهو قانون من قوانين الخلق الثابتة في مظاهره المختلفة، فالنطفة تنتقل في الرحم من طور إلى طور حتى يخرج الطفل إلى الوجود، ثم يمر بأطوار الخلق إلى أن يصير شيخًا فانيا، وكذلك حضارات الأمم وقوتها وعلومها وثقافاتها تبدأ يسيرة هينة ثم تتدرج حتى تبلغ الغاية، ثم تعود أدراجها إلى الضعف تارة أخرى وهكذا نجد التطور سنة ثابتة في كل مظاهر الكون وهذه الحقيقة أوضح من أن نطيل في البرهنة عليها.

وإذا كان التطور أمرًا ثابتًا في الخلق وفي جميع مظاهر الحياة في الكون، ويشمل جميع مظاهر النشاط الإنساني، كان لابد أن يقع التطور في منهج الدعوة تبعًا لذلك.

فالتطور واقع في أفكار الناس ومذاهبهم وأعرافهم وتقاليدهم، وفي مختلف نظم حياتهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية والدينية والفكرية وغير ذلك وإذا كان هذا أمرًا واقعًا لا جدال فيه، فإن التطور واقع لا محالة في تشكيل هذا الإنسان المعاصر في مختلف النواحي السابقة.

وإذا كانت أصول الدعوة ترجع إلى الرسالة المبلغة وهي الإسلام والداعي وهو الرسول ﷺ، والمدعو وهم الذين توجه إليهم الدعوة، وطريقة الدعوة ووسائل التبليغ[1]... إذا كانت أصول الدعوة ترجع إلى هذه الأمور فإن أحد هذه الأصول بلاشك هو الاهتمام بدراسة حال المدعوين ومعرفة تشكيلهم الفكري والثقافي والسياسي والاجتماعي...إلخ.

وهذا يقتضي ضرورة الوقوف على التطور الذي حدث في حياة الإنسان في واقعنا المعاصر حتى يمكن مخاطبته بلسان هذا الواقع، تحقيقًا لقوله تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ**﴾[2]، وذلك أن معنى اللسان يمكن أن يتسع ليشمل ثقافة

---

(١) انظر: مقدمة كتاب أصول الدعوة للدكتور/ عبدالكريم زيدان- دار الوفاء- المنصورة- ١٤٠٨ هـ-١٩٨٧م.

(٢) إبراهيم:٤.

العصر والبيئة التي تتجه الدعوة إليها.

وهـذا المعـنى قد ألمح إليه كثيرًا بعض المعاصرين من أفاضل الدعاة، وأحب أن أزيد عليه، أو أضيف إليه تأييدًا وتأكيدًا له أن اللسان هنا يراد به لغة القوم الذين تتوجه الدعوة إليهم، وذلك باتفاق المفسرين فيما وقفت عليه من كتب التفسير[1].

فأقـول إذا كـان اللسان هنا إنما يراد به اللغة باتفاق فلاشك أن لغة الأقوام إنما تتأثر بمعطـيات العصر وظروفه وأحداثه وفيما يحدث فيه من تقدم علمي وفكري ومادي وهذا شـيء ملاحـظ لا مرية فيه حيث يغلب على لسان الناس في المجتمعات والمدن العمرانية المـتقدمة أو الـتي قطعت شوطًا في مضمار الحضارة –يغلب على لسانهم وكلامهم ذكر أسمـاء المخترعات والتقنيات الحديثة بما يؤدي إلى قدر كبير من الصعوبة في الفهم للغتهم ممـن يـتعامل معهـم من أهل القرى والنجوع والكفور ومن لم تصل إلى أيديهم تلك المخترعات والتقنيات.

ولـو أن إنـسانًا بعث من القرن الماضي لاستحال التخاطب والتواصل بينه وبـين قـومـه مـن أبنائه وأحفاده ممن دخل لغتهم وكلامهم العديد من المصطلحتات الخاصة بأحـداث هـذا القـرن وتطـوراته السياسية والاقتصادية والعلمية والثقافية والفكرية والاجتماعية...إلخ.

يستحيل إذًا أن تتطور الحياة بكل أبعادها ويتطور لسان الناس فكريا وثقافيا وحضاريا واجتماعيا وسياسيا واقتصاديا...إلخ.

ولا يـتطور لسان الداعي ولغته بما يناسـب هذا التطور إلا إذا كان هذا الداعي من قـرن غـير هذا القرن، ومن عصر غير هذا العـصر، ومن بيئة غير هذه البيئة، فما دام الداعـي واحـدًا من عناصر هذه البيئة فمن الضروري أن يكون متأثرًا بتلك العوامل التي تأثـرت بهـا تلـك البيـئة، وأن يخاطـب الـناس بلسان قومه فكريا وثقافيا وسياسيا واجتماعيا...إلخ.

---

(١) انظر على سبيل المثال: تفسير ابن كثير- دار إحياء الكتب العربية- القاهرة- (٥٢٣/٢).

فلا يخاطبهم بلسان آخر غير لسانهم لا يعرفونه، لسان مضت عليه قرون عديدة تؤدي إلى انقطـــاع التواصل بينه وبين قومه، فلا يفهمه ولا يتواصل معه إلا من علك لغة القرون الأولى بقوة لحييه، وقليل ما هم.

إذًا فـــتطور منهج الدعوة وتطوير وسائلها أمر بدهي يتفق مع تطور البشر في مختلف مناحي حياتهم وتكوينهم الفكري والثقافي والاجتماعي...إلخ.

كـــان من البديهي أن أبدأ حديثي ببيان المقصود بالتطور في مناهج الدعوة ووسائلها، ولكـــني بدأت بالتدليل على ضرورة التطور، وذلك لعلمي أن ثمة طائفة من الناس لا تقبل هذه الكلمة، ولا تريد أن يطرق آذانها حديث عنها، فهي ترفض التطوير، وتجحد التطور أيـــا كـــان لا تعترف به ولا تقرّه، ومن ثم فهي ليست بحاجة إلى سماع تفسير له ولا بيان للمقـــصود مـــنه؛ لأنه مرفوض لديها برمته أيًّا كان نوعه، وأيًّا ما كان المراد منه، فلذلك رأيـــت أن أبـــدأ بهذه العجالة السريعة التي تقرر ضرورة التطور وإن كنت أعلم أن هذه العجالـــة لا تشفي أمثال هؤلاء فأنا أعرض لهم هنا لمحة سريعة وطرفًا يسيرًا من مقتضيات التطويـــر في مـــنهج الدعوة مع إحالتهم إلى فصول هذه الرسالة ومباحثها التي تؤصل لهذا الأمـــر وتـــبين وقوعه فعلاً عبر العصور، وترصد المسيرة المباركة لأهل السنة والجماعة في مـــنهج دعـــوتهم إلى الله تعالى وكيف كان هذا المنهج يتوافق مع العصر الذي يعيشه ومع حال المدعوين في ذلك العصر.

المقصود بدراسة التطور:

ولعـــلّ بعـــض هؤلاء الرافضين للتطوير والتطور يكون قد لانت عريكته فيبدأ فيسأل علـــى ســـبيل المصادرة فيقول: فما مقصودك بهذا التطور وهذا التطوير في مناهج الدعوة ووسائلها وما مرادك منه؟

فأقـــول لـــه: إن الـــتطـــور في مناهج الدعوة ووسائلها أمر واقع لا محالة، والمقصود بدراسة هذا التطور هو الرصد التاريخي لمســـيرة الدعوة في عصورها المختلفة وبيان كيفية الدعـــوة والمـــواجهة في كل عصر من هذه العصـــور من اختلاف حال المدعوين في كل

عصر عن العصر الذي يليه فكريا وثقافيا وسياسيا واجتماعيا ودينيا واقتصاديا...إلخ.

وهذا أمر يراد منه تأصيل وقوع هذا التطور، والدلالة على شرعية التطوير وجوازه بل وجوبه وضرورته في مناهج الدعوة ووسائلها.

معنى التطوير والتطور:

والتطوير غير التطور، فالتطور سنة واقعة في الكون.

أما التطوير فهو فعل البشر بتقدير الله تعالى وهو أمر ننشد حدوثه في منهج الدعوة إلى الله تعالى ووسائلها في واقعنا المعاصر. **والمقصود بالتطوير في مناهج الدعوة** ووسائلها هو إحداث نوع من التوافق والتكيف بين طريقة الدعوة ووسائل عرضها وبين ما حدث في حياة الأمم والشعوب من متغيرات شملت جميع مناحي الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والتربوية والعلمية والدينية وغيرها.

وهذا يعني أن التطوير هنا يقتصر فيه على مناهج الدعوة ووسائلها دون المساس بمقاصدها الأساسية وأصولها وحقيقتها وركنها الأصيل، مما سوف يكشف عنه البحث في صفحاته القادمة.

obeikandl.com

١- التفريق بين المقاصد والمناهج والوسائل

المقصود بمنهج الدعوة ووسائلها:

المنهج والمنهاج في اللغة يراد به الطريق الواضح البين[١]، والمقصود بمنهج الدعوة إذًا طريقها الواضح البين الذي لا يلتبس على السالك فيه.

فالمنهج والمنهاج إذاً يراد به الطريق، والمقصود هنا بالمناهج الدعوية بيان طرق الدعوة ومعالمها التي رسمها الكتاب الكريم، وبينت أصولها السنة النبوية، وبها اهتدى الصحابة والتابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما الوسيلة في اللغة فالمراد بها ما يقرب إلى المراد ويوصل إليه، يقال: "وسلت إلى ربي وسيلة : أي عملت عملاً أتقرب به إليه"[٢]، ومن ثم فالمقصود بالوسائل الدعوية ما يبلغ الداعي ويوصله إلى تحقيق مقصود الدعوة وغايتها.

والوسائل والمناهج كلاهما يوصل إلى تحقيق مقاصد الدعوة وغايتها غير أن المنهج يختص ببيان طرق الدعوة ومسالكها وكيفية تبليغها، أما الوسيلة فتختص بالأداة التي تتخذ لتبليغ الدعوة وتوصيلها للناس.

ومدار الوسائل كلها قديمها وحديثها على أمرين اثنين تتفرع منهما سائر الوسائل القديمة والحديثة، وهذان الأمران هما:

---

(١) قال صاحب العين: "نهج: طريق نهج: واسع واضح وطرق نهجة. ونهج الأمر وأنهج – لغتان- أي: وضح. ومنهج الطريق: وضحه. والمنهاج: الطريق الواضح. قال:

وأن أفوز بنور أستضيء به أمضي على سنة منه ومنهاج"

[الخليل بن أحمد: العين- تحقيق: د/ عبدالحميد هنداوي- دار الكتب العلمية- بيروت- (٤/٢٧٠-٢٧١)].

(٢) قال صاحب العين: "وسل: وسلت إلى ربي وسيلة، أي: عملت عملاً أتقرب به إليه، وتوسلت إلى فلان بكتاب أو قرابة، أي: تقربت به إليه، قال لبيد:

أرى الناس لا يدرون ما قدر أمرهم بلى كل ذي لب إلى الله واسل"

[السابق- (٤/٣٧٠-٣٧١)].

openkanal.com

١-المخاطبة.

٢-المكاتبة.

فالمخاطبة تشمل جميع صور الخطاب الدعوي في القرون الماضية كما تشمل جميع وسائل الدعوة الخطابية الحديثة؛ مثل: الإذاعة والتلفاز والهاتف وأشرطة الكاسيت والفيديو والأقراص المغنطة (CD)، والأقمار الصناعية وشبكة الإنترنت وغير ذلك مما تكون الوسيلة الدعوية فيه هي الخطاب الموجه إلى المدعو أيًا كان نوع هذا الخطاب.

أما المكاتبة فتشمل جميع وسائل الدعوة الكتابية القديمة؛ مثل: الكتب والرسائل، أو الحديثة مثل: الصحف والمجلات والفاكس والبريد الإلكتروني عبر شبكة الإنترنت ونحو ذلك.

أما المنهج الدعوي: فالمقصود به طريقة التبليغ من حيث الاعتماد على الحكمة أو الموعظة الحسنة أو المجادلة أو المحاجة والمناظرة، أو من حيث الاعتماد على التأثير الوجداني بالترغيب أو الترهيب أو الإقناع العقلي بالدعوة إلى التفكير والتأمل واستخدام الأقيسة المنطقية الفطرية والأدلة العقلية الضرورية.

أو من حيث اختيار طريق الدعوة الجماعية أو الفردية، أو اختيار الجهرية أو السرية.

أو من حيث الاعتماد على طريقة التقرير والسرد، أو التصوير البياني، أو الأساليب البلاغية أو استخدام التمثيل أو القص، مع رعاية المحاكاة أو التماثل أو التقارب اللغوي والفكري بين الداعي والمدعو ما أمكن.

أو من حيث الإجمال أو التفصيل في عرض مقاصد الدعوة ومفاهيمها وحقائقها بحسب الأشخاص والأحوال والظروف والبيئات.

كما يدخل في منهج الدعوة كذلك اختيار الوسيلة أو الآلية أو الأداة المناسبة لتبليغ الدعوة، كاختيار وسيلة خطابية أو كتابية، وتحديد نوع الوسيلة الخطابية أو الكتابية، فلا شك أن ذلك كله يعد من منهج الدعوة أي من طريقها، ومن ثم يمكن أن تعد

الوسائل بذلك جزءاً من المنهج من هذه الجهة، أي: من جهة اختيار الداعي لبعض هذه الوسائل دون بعض، وكيفية إعماله لهذه الوسائل، أو الترتيب بينها[1].

كذلك يمكن النظر إلى منهج الدعوة من حيث طرق الدعوة ومسالكها المختلفة على أنها وسائل توصل إلى غايات الدعوة ومقاصدها، ومن ثم يمكن أن تسمى هذه الطرق كلها وسائل متنوعة؛ فبعض هذه الوسائل يرجع إلى اختيار آلية الدعوة أي وسيلة التبليغ، وبعضها يرجع إلى اختيار وسيلة التأثير من حيث التأثير الوجداني أو الإقناع العقلي، أو السرية والجهرية، أو الإجمال والتفصيل أو نحو ذلك باعتبار هذه كلها وسائل لتبليغ الدعوة، ولا مشاحة في الاصطلاح، ومن ثم يقع التسامح في تسمية الوسائل والمناهج لما بينهما من التداخل، وذلك لأن الوسيلة جزء من المنهج، والمنهج يضم عددًا من الوسائل، وإذا كانت المناهج والوسائل كلاهما ينحو نحو تحقيق مقاصد الدعوة وغاياتها، فمن الضروري أن نتعرض كذلك لبيان مقاصد الدعوة التي تتجه المناهج والوسائل لتحقيقها، وحتى لا يلتبس الأمر على الناظر في هذه الدعوة إلى التطور فيحسب أن المقصود هو تحقيق التطور في مقاصد الدعوة ذاتها وأصولها وأركانها وحقيقتها، فأردنا أن نبين له في هذه المبادئ أن المقصود بالتطوير إنما هو في المناهج والوسائل فقط أي: طرق العرض والأدوات المستخدمة لعرض الدعوة وبيانها لا في حقيقة الدعوة ذاتها. ولذلك فسوف نناقش الآن مسألة مهمة، وهي هل يدخل التطور في مقاصد الدعوة ذاتها؟

وإذا كنا قد صادرنا بالإجابة بالنفي في هذا الأمر فإن في الأمر تفصيلاً يتعلق بمنهجية عرض تلك المقاصد، ولذلك عقدت المبحث التالي.

---

(١) وهذا ما سوف يعتمده البحث في خطة دراسته؛ حيث يجمع بين المنهج والوسائل في دراسة واحدة.

٢- التطوير بين المقاصد والمناهج

مقاصد الدعوة:

مقاصد الدعوة هي الغايات والأهداف التي تتجه إليها الدعوة الإسلامية، فهي الأمور التي يدعا إليها الناس، وهي الرسالة التي يبلغها الدعاة لهم، وهي حقائق هذا الدين وركائزه وأركانه وأسسه.

وهذه المقاصد هي الغايات التي أرسل الله تعالى لها الرسل، وأنزل لأجلها الكتب، وأمر بدعوة الناس إليها، وخلقهم لأجل العمل لها، وهي الغاية التي عبر الله تعالى عنها حيث قال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ﴾[1].

وهذه المقاصد أمور واحدة لا تختلف أو لا ينبغي أن تختلف من دعوة إلى دعوة، ولا من رسول إلى رسول، ولا من أمة إلى أمّة.

وإنما يقع الاختلاف أو التغير والتطور في طريقة عرضها.

فالدعوات ينبغي أن تكون شاملة للدين كله، ومن ثم لا يتصور وقوع اختلاف بين الدعوات في حقائقها ومقاصدها، ولكن إذا نظرنا إلى تلك الدعوات من حيث ما يقع فيها من إجمال لبعض الأمور وتفصيل لبعضها بحسب حاجة الأقوام واختلاف ظروفهم وأحوالهم، فإنه يمكن أن يتصور الاختلاف والتغير والتطور في عرض المقاصد من هذه الجهة أي من حيث ما يقع في الدعوة إليها من الإجمال والتفصيل، وإن كان ثمة وجوه اختلاف كثيرة تكون بين الدعوات باختلاف الزمان والمكان، وإنما نظرنا الآن من جهة ما يدعا إليه من المقاصد وهل يدخلها ذلك الاختلاف والتفاوت ومن ثم يلحقها التغير والتطور أم لا؟

١-مقاصد الدعوة ومناهجها بين الثبات والتطور:

إن المتتبع لدعوة الرسل الكرام في القرآن الكريم، ودعوة الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه في القرآن الكريم والسنة المطهرة يلاحظ ثبات "الأساس الذي قامت عليه

---

(١) الذاريات:٥٦.

obeikandl.com

دعـــوة كل منهم، وهو الدعوة إلى توحيـــد الله وعبادته، وأن ما كان بينهم من اختلاف إنمـــا هو في طريقة عرض الدعوة، وطـــريقة إقامة الحجة على صحتها بالأدلة الواضحة، والبراهين الساطعة بالأسلوب الذي يتلاءم مع قوم كل منهم، قال تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُـــولٍ إِلا بِلِـــسَانِ قَـــوْمِهِ لِيُبَـــيِّنَ لَهُمْ**﴾[1] وكيفية الحوار الذي دار بين كل رسول وقومه"[2].

فالمـــتأمل في كتاب الله تعالى يلاحظ أن مقاصد الدعوة إلى الله تعالى واحدة لا تختلف مـــن رسول إلى رسول ولا من نبي، إلى نبي أما منهج الدعوة فقد كان متنوعًا في أسلوبه وطـــريقته ووسائله حسب حال كل جماعة وأمّة من هذه الأمم، الذين بعثت إليهم رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم جميعًا.

وسوف نبين الأدلة على ذلك بشيء من التفصيل:

مقاصد الدعوة إلى الله تعالى وثباتها عند جميع الرسل:

إن المـــستقرئ لكـــتاب الله تعالى يلاحـــظ أن دعوة الرسل جميعًا قد اجتمعت على مقـــصد واحد، ألا وهو تعبيد النـــاس لرب العالمـــين وإفراده بالعبودية، هذا هو المقصد الأساســـي الـــذي جاءت به دعوة كل رسول إلى قومه؛ حيـــث نجد أن جميع الرسل قد دعـــوا قـــومهم إلى عبادة الله تعالى وحده، وقد اتحدت دعوتـــهم في ذلك حتى عبر عنها القـــرآن الكـــريم بجملة واحدة لا تكاد تـــختلف في التعبير عن دعوة الرسل جميعًا على اخـــتلاف ألـــسنتهم، وهي قوله تعالى على ألسنة الرسل: ﴿**اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ**﴾[3].

فنوح -عليه السلام- يقول لقومه: ﴿**اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ**﴾.

---

(١) إبراهيم: ٤.

(٢) د/عـــبدالوهاب عبدالعاطي عبدالله: مناهج أولي العزم من الرسل في تبليغ الدعوة على ضوء ما جاء في القرآن الكريم- دار الطباعة المحمدية بالأزهر- ط١ (١٤١٢هـــ-١٩٩١م)- (ص٤-٥).

(٣) الأعراف: ٥٩، ٦٥، ٧٣، ٨٥، هود: ٥٠، ٦١، ٨٤، المؤمنون: ٢٣، ٣٢.

obeikandl.com

وهود -عليه السلام- يقول لقومه: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾.

وصالح -عليه السلام- يقول لقومه: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾.

وشعيب -عليه السلام- يقول لقومه: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾.

وإبراهيم عليه السلام يقول لقومه: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[1].

ومحمد ﷺ يقول لقومه: ﴿يأيها النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[2].

وقد عبر القرآن الكريم كذلك عن اتحاد هذه الدعوة في هذا المقصد بعبارات مختلفة كلها تعبر عن معنى واحد، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾[4].

وهذا المقصد الأساسي يتفرع عنه مقاصد أخر كلها تبع له ومحققة لمقصوده وغايته ومؤازرة له، وليست مخالفة ولا مضادة؛ فمن هذه المقاصد:

١-دعوة الناس إلى الإيمان بالله تعالى وتوحيده:

الدعوة إلى عبادة الله وتوحيده تتضمن بلاشك الدعوة إلى الإيمان بالله تعالى أولاً ومعرفته بأسمائه وصفاته الحسنى، وهذا يقتضي استكمال جميع أركان الإيمان، فتتضمن الدعوة إلى الإيمان: الإيمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

---

(١) العنكبوت:١٦.

(٢) البقرة:٢١.

(٣) النحل:٣٦.

(٤) الأنبياء:٢٥.

ومن ثم تكررت الدعوة إلى الإيمان بالله تعالى وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره في كتاب الله تعالى على ألسنة الرسل، وفي سنة النبي ﷺ كما في حديث جبريل وغيره من الأحاديث[1].

قال تعالى: ﴿الم (١) ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤) أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالا بَعِيدًا﴾[3].

وقال تعالى: ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾[4].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾[5].

كما تكررت الآيات الداعية إلى توحيد الله تعالى في كثير من المواضع:

قال تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا...﴾[6].

---

(١) حديث جبريل، أخرجه البخاري في "الإيمان"، باب: سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان- (٥٠)، ومسلم في "الإيمان"، باب: بين الإيمان والإسلام والإحسان-(٨) من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- وأخرجه مسلم في الموضع السابق- (٨) من حديث عمر بن الخطاب -رضي الله عنه.

(٢) البقرة:١-٥.

(٣) النساء:١٣٦.

(٤) الحديد:٧.

(٥) التوبة:١٨.

(٦) النساء:٣٦.

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلا نَعْبُدَ إِلا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾(١).

﴿وَقَالَ اللَّهُ لا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾(٢).

﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ...﴾(٣).

﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾(٤).

والآيات في هذا المعنى كثيرة أكثر من أن تحصى.

٢-حث الناس على الاتباع وطاعة الرسل:

وذلك أن طاعة الرسل هي السبيل الوحيد إلى عبادة الخالق كما يحب ويرضى.

ومن ثم تتضافر الآيات على الأمر بطاعة الرسل واتباع المرسلين:

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾(٥).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾(٦).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾(٧).

---

(١) آل عمران:٦٤.

(٢) النحل:٥١.

(٣) الإسراء:٢٣.

(٤) لقمان:١٣.

(٥) آل عمران:١٣٢.

(٦) النساء:٥٩.

(٧) الأنفال:٢٤.

obeikandl.com

وصاحب (يس) يقول لقومه: ﴿يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ (٢٠) اتَّبِعُوا مَنْ لا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾[١].

ومن ذلك قوله تعالى على ألسنة العديد من الرسل: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾[٢].

وهذه الدعوة إلى عبادة الله تعالى وتوحيده، وطاعة رسله هي مضمون دعوة الإسلام؛ لأن النبي ﷺ حينما سئل عن الإسلام في حديث جبريل المشهور[٣] عرفه بما يتضمن الإتيان بتوحيد الله تعالى وعبادته –وهو مقتضى شهادة التوحيد– والإتيان ببقية الأركان العملية المتضمنة لطاعة الرسول في مباني الإسلام وأركانه، كما أن الشهادة بأن محمدًا رسول الله ﷺ تقتضي تصديقه في كل ما أخبر به وطاعته في كل ما أمر به، إذ إن هذا هو مقتضى الشهادة له بأنه رسول من عند الله.

وإذا كانت الدعوة إلى توحيد الله تعالى وعبادته بطاعة رسوله هي مضمون حقيقة الإسلام ومقتضى الدخول فيه، فإن جميع الرسل بلا استثناء قد دعوا أقوامهم إلى الإسلام لله تعالى؛ إذ إن حقيقة الإسلام هي الانقياد والاستسلام لله رب العالمين وإخلاص العبادة له، وهذا إنما يقتضي توحيده بالعبادة وطاعة رسله صلوات الله وسلامه عليهم جميعًا.

والآيات مستفيضة في الدلالة على أن الدعوة إلى الإسلام هي دعوة جميع الأنبياء والمرسلين من لدن آدم أبي البشر إلى محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾[٤].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[٥].

---

(١) يس: ٢٠-٢١.

(٢) آل عمران: ٥٠، الشعراء: ١٠٨، ١١٠، ١٢٦، ١٣١، ١٤٤، ١٥٠، ١٦٣، ١٧٩، الزخرف: ٦٣

(٣) تقدم تخريجه قريبًا.

(٤) آل عمران: ١٩.

(٥) آل عمران: ٨٥.

وقال تعالى على لسان إبراهيم -عليه السلام: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[1].

ويقول عن إبراهيم وإسماعيل -عليهما السلام- في دعائهما: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[4].

وقال تعالى على لسان الحواريين: ﴿نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[5].

٣-تزكية الأنفس:

جعل الله تعالى تزكية الأنفس من صميم دعوة الرسل ومن مقاصدها العظام، فقال تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾[6]، وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ

---

(١) البقرة: ١٣١.

(٢) البقرة: ١٢٨.

(٣) البقرة: ١٣٢.

(٤) البقرة: ١٣٣.

(٥) آل عمران: ٥٤.

(٦) آل عمران: ١٦٤.

﴿وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[1].

ومن ثم يتضح بلاشك أن من المقاصد المهمة للدعوة التي تحقق مقصدها الأساسي وهو تعبيد الناس لرب العالمين: تزكية النفوس وتطهيرها من أدران الشرك والإلحاد، ومن بدع الاعتقادات والعبادات ومن رديء الأخلاق، وذميم الخصال، وتحليتها بما فيه صحة القلوب وسلامتها من صحة الاعتقاد، وصحيح الإيمان والتوحيد، وصحة النسك والعبادة وسلامتها، وجميل الأخلاق والخصال وحسن الفعال الذي ترجع غايته إلى إصلاح العلاقة مع الله، وإصلاح العلاقة مع الناس.

ومن الجدير بالذكر أن ننبه إلى أن تزكية النفوس وتطهيرها وإصلاحها وتنمية جوانب الخير فيها، كل ذلك يرادف مفهوم الإحسان الذي هو الدرجة العليا من درجات الدين، كما جاء في حديث جبريل.

ومن ثم فإن الدعوة تكون إلى هذه المراتب الثلاثة:

١-الإسلام.

٢-الإيمان.

٣-الإحسان.

فالدعوة إلى الإسلام دعوة إلى التوحيد، وإلى طاعة الرسل بالالتزام العملي بأركان الإسلام وواجباته.

والدعوة إلى الإيمان دعوة إلى حقائق الدين وأصوله وأركانه وتثبيتها في القلب، وذلك بالالتزام العملي بأحكام هذا الدين؛ لأن الإيمان قول وعمل يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

والدعوة إلى الإحسان دعوة إلى تزكية النفس وتطهيرها وتحليتها بالفضائل والكمالات[2].

---

(١) الجمعة:٢.

(٢) هذا هو ما يقتضيه معنى التزكية لغة وشرعًا، ولنا عود لتجلية حقيقة التزكية وكيفية ممارستها في الحديث عن معالم المنهج الدعوي في القرآن الكريم والسنة النبوية.

obeikandl.com

ومما يجدر التنبيه إليه أن هذه المنازل والمراتب ليست مراحل منفصلة يستقل بعضها عن بعض كما يتصور البعض، أو يدعى إليها واحدًا واحدًا بل الحقيقة أنها أقرب إلى التداخل والتكامل، وأن الداعي يدعو إليها جميعًا، وإن كانت حكمة الدعوة تقتضي التركيز على إحدى هذه المراحل أو المنازل في وقت معين أو لشخص معين.

فبالنسبة للمبتدئ مثلا يركز الداعي على تثبيته في درجة الإسلام بتعريفه حقيقة التوحيد ودعوته إلى الالتزام بمبادئ الإسلام وأركانه.

وإن كان ذلك لا يمنع من تعريفه بما يجب عليه من حقائق الإيمان، وما ينبغي له من تزكية نفسه وتطهيرها وإصلاحها، غير أنه في هذه المرحلة أحوج إلى تعلم الإسلام والتركيز في دعوته على هذه الدرجة بالذات، وهكذا.

هذه هي أهم مقاصد الدعوة الأساسية التي دعا إليها الرسل، وهذه المقاصد أمور ثابتة لا تتغير بتغير الزمان والمكان؛ لأنها تمثل صلب هذا الدين وأساسه ولُبّ حقيقته فلا يقع فيها شيء من الاختلاف، وإنما قد يقع الاختلاف في عرض تفاصيل تلك المقاصد.

وذلك لأن الدعوة إلى عبادة الله تعالى إنما هي دعوة إلى التزام شرائعه، وهذه الشرائع معلوم أنها تتغير وتختلف من شريعة لأخرى ومن رسول لآخر بحسب اختلاف الأقوام والزمان والمكان.

وحتى في الشريعة الواحدة فإن الأمر الواحد قد يختلف حكمه بحسب ما يعرض له من الظروف والملابسات؛ فالنكاح مثلا قد يكون مباحًا لشخص تتوفر فيه شروط إباحته وتنتفي موانعها، وقد يكون حرامًا على شخص آخر لا تتوفر فيه تلك الشروط أو تمنعه منه بعض الموانع، وقد يكون واجبًا في حق شخص يخشى على نفسه العنت والوقوع في الحرام، مستحبا لمن هو دونه، مكروهًا لمن يظن منه الوقوع في الجور ونحوه.. وهكذا.

والمقصود هنا هو بيان تفاوت الشرائع بحسب اختلاف الأحوال والأقوام والبيئات والأزمان، وإذا كان الأمر كذلك فإنه يلزم أن تختلف الدعوة إلى تفصيل تلك المقاصد عبر العصور المختلفة بحسب حاجة الأقوام إلى تفصيل تلك الأحكام، ومن ثم يدخل

التطوير في تفصيل تلك المقاصد لا في المقاصد نفسها على الإجمال.

ويكـــون ذلـــك الاختلاف والتطوير إنما هو اختلاف في منهج الدعوة لا في الدعوة نفـــسها، بمعنى أنه اختلاف في طريقة العرض، وليس اختلافًا في جوهر الدعوة وحقيقتها وأصولها ومقاصدها.

والدليل على ذلك واضح من بيان القرآن الكريم منهج الرسل في دعوة أقوامهم، حيث نلاحظ أن الرسل جميعًا قد اتفقوا في الدعوة إلى المقاصد الأساسية؛ حيث دعوا جميعًا إلى عـــبادة الله تعـــالى وحده وتقواه وطاعة رسله، ثم اختلفت دعوتهم بعد ذلك إلى الشرائع والأحكام التي هي تفصيل الدعوة الإجمالية بعبادة الله تعالى.

والـــسبب في ذلـــك يرجع إلى اختلاف البيئات، فلكل بيئة ظروفها من حيث طبيعة هؤلاء الأقوام وما تفشى فيهم من الأمراض والفواحش، وما دخلهم في عبادتهم من البدع والمنكرات.

فهـــؤلاء قـــوم يعبدون التماثيل المنحوتة من الأحجار ويصورونها على صورة الرجال الصالحين.

وهؤلاء قوم يعبدون الملائكة ويصورون صورًا مزعومة لهم يدعونها من دون الله تعالى.

وهؤلاء قوم يعبدون الكواكب والنجوم.

وهؤلاء قوم يعبدون الشمس ويسجدون لها من دون الله.

وهؤلاء يطوفون بالبيت عراة.

وهؤلاء يجعلون صلاتهم عند البيت مكاء وتصدية.

وهؤلاء يستحلون التعامل بالربا.

وهؤلاء يستحلون تطفيف الكيل والميزان.

وهؤلاء يستحلون أكل أموال الناس بالباطل.

وهؤلاء يستحلون اللواط وإتيان الرجال شهوة من دون النساء.

وهؤلاء يستحلون الخمر والمعازف والقينات.

وقد جاء القرآن بكل ذلك:

فقال عن قوم هود:﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٧٠) قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾[1].

وقال عن قوم صالح:﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[2].

وقال عن قوم لوط:﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ (٨٠) إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ﴾[3].

وقال عن قوم شعيب:﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ (٨٤) وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[4].

وقال عن قوم إبراهيم:﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ (٥١) إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ (٥٢) قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ (٥٣) قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ (٥٤) قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللاعِبِينَ﴾[5].

---

(١) الأعراف: ٧٠-٧١.

(٢) الأعراف: ٧٤-٧٧.

(٣) الأعراف: ٨٠-٨١.

(٤) الأعراف: ٨٤-٨٥.

(٥) الأنبياء: ٥١-٥٥.

ومن ثم نتبين أن مقاصد الدعوة التي يدعو إليها الرسل وأتباع الرسل جميعًا هي واحدة متفقة لا تختلف من زمان لآخر أو من مكان لآخر أو ينبغي أن تكون كذلك لا تختلف.

أما تفصيل تلك المقاصد من جهة ما يدعا إليه من الشرائع والأحكام على التفصيل والتفريع فهذا هو ما يقع فيه الاختلاف بحسب الأحوال.

ولما كان ذلك راجعًا إلى نظر الداعي واجتهاده من وجهة نظره فيما يحتاج إليه المدعوون فيجمل في أمر ويفصل في آخر، وذلك بحسب ما تدعو إليه مصلحتهم الأخروية والدنيوية، وبحسب ظروفهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغير ذلك، وبحسب ما هم واقعون فيه من البدع والمخالفات والمنكرات في العقائد والعبادات والأخلاق والآداب والمعاملات؛ لذا فسوف نقوم برصد سير الدعوة وتطورها في العصور المختلفة لنقف على ما حدث من تطور في منهجها ووسائلها عبر تلك العصور وما تعرضت له مقاصد الدعوة من الإجمال والتفصيل لبعض مقاصدها بحسب اختلاف الظروف والبيئات.

obeikandl.com